أمين باشا المعلوف

تقدير

لنجيب شاهين

هذا تقدير لمقام الفقيد من ناحيتيه العلمية والأدبية اقتصر عليهما تاركاً لغيري ترجمة حياته ترجمة تبين نواحيها الأخر.

عاصرت الدكتور أمين باشا المعلوف في مرحلته الجامعية الأخيرة ولا أحسب ما تقدمها معاصرة إذ لم يدر كلانا بوجود صاحبه. فقد دخلت كلية العلوم والآداب في جامعة بيروت الاميركية سنة دخوله كلية الطب بعدما حاز شهادة القسم الاستعدادي وبكوريا كلية الآداب. فانتهينا معاً هو من كلية الطب وانا من كلية الآداب

وكان على جانب كبير من الذكاء ولا أزال أذكر احتكاره لجوائز القسم الطبي فكان الذيع في الاحتفال الاخير يذكر نيلهُ لجائزة التشريح ويطلب تقدمه لتسلمها فينهض ويتسلمها ويعود الى مقعده فلا يكاد يجلس حتى يدعى ثانية وحتى تعبنا عنهُ — جائزة في التشريح وثانية في المواد الطبية وثالثة في تشخيص الأمراض ورابعة في الجراحة — وحتى وددنا لو دعينا مكانهُ بالنيابة عنه لا بالاصالة عن أنفسنا لان أصحاب الذكاء النادر يكونون في الغالب مغبوطين لا محسودين — يتمنى المرء دوام النعمة لهم لا زوالها عنهم بخلاف الاغنياء البخلاء فانهُ يطلب زوالها عنهم الى أناس يكونون أصلح لها وتكون أصلح لهم

وكان جزاء هذا الاحتكار اختيارهُ خطيب الجامعة من كلية الطب باللغة العربية وخطبت أنا بالانجليزية وقد نسيت موضوعه وأما موضوعي فكان « الجمال في الطبيعة »

وبعد أن عاد الدوسية في الجامعة تفرقنا وقدم كلانا هذا القطر وأنا أنشد قول متمم بن نويرة مذكراً أخاه مالكاً:

ونحن تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ودخل القسم الطبي في الجيش المصري، وطلبت أنا الآداب فأدركته، ولكن أدركني خلته معه

كان المرحوم أبرز شاهد على تعدد المواهب في الانسان مع كون الموهبة العليا في بعض زوايا نفسه فاذا أتيحت فرصة تجلت أعظم تجلٍّ وكفت المواهب الأخرى . فقد احترف الطب وكان ذا حذق نادر في تشخيص العلة ولكن ظهرت فيه في الوقت نفسه موهبته المدفونة في دفتي صدره وقرارة نفسه وهي موهبة البحث العلمي وانبثقت فيه انبثاق الالهام والوحي وظهرت طوالعها في كثرة التقصّي والسؤال والمطالعة فكنا نراه يطالع كتباً لا علاقة لها بحرفته إلاّ من بعيد ثم كنا نسمع منهُ أسئلة واستفهامات في اللغة العربية لا تمت الى الطب العملي بصلة — شأن الاطباء الذين يعدون العدة لوضع مؤلفات في غير الطب ويلتمسون لها أحسن الحلل لالباسها اياها أو يصنعون أحسن القوالب لافراغها فيها

وكان أول مؤلف وضعهُ معجم الحيوان وبحثهُ فيه موسوم بالدقة العلمية التي قلما نرى الا في مؤلفات الغربيين العلمية الدقيقة تذكر قارئهُ مؤلف داروين المعنون «تسلسل الانسان» وكلا الكتابين متشابهان في صغر حجمهما وكونهما مع صغرهما جامعين مانعين . أو تذكره « الكتاب » لسيبويه امام النحاة فهو قوام النحو وبلغ من عناية الذين وقفوا على طبعهِ من الغربيين ان لم يتركوا فيه هفوة مطبعية فلم يحتج لذلك الى جدول لتصحيح اخطاء لا وجود لها

***

وقد بدأ المقتطف في نشر مباحث هذا المعجم متسلسلة في اكتوبر ١٩٠٨ وقدم له الدكتور صروف بما يلي

« لا يخفى على من اشتغل بالترجمة من اللغات الاوربية او بالتأليف على منهاج الاوربيين ان من أنواع الحيوان والنبات ما اسماؤه معروفة مشهورة كالغراب والفرس والتين والزيتون فلا تخفى على احد ولا تحتاج دلالة الاسم على المسمى . ومنها ما اسماؤه غير معروفة أو غير مشهورة أو اخطأ المترجمون في ترجمتها وشاع الخطأ دون الصواب وهذه كلها يستصعب الترجم تحقيقها من مظانها كلما وصل اليها . وليس في العربية حتى الآن قاموس عربي افرنجي عني مؤلفه بترجمة كل أسماء الحيوانات والنباتات التي لها أسماء في العربية أو بين ان اطلقنا عليها ناهيك عن ان تعرب أسماء الحيوانات والنباتات في كتب اللغة العربية فلا يدل عليها

« وقد عني صديقنا الدكتور امين معلوف منذ مدة بالبحث عن اسماء الحيوانات ووضع لها معجماً ذكر فيه الاسم العربي والاسم الفرنسي والاسم الانكليزي والاسم العلمي ووصف كل حيوان وصفاً أوجز فيه او أسهب حسب مقتضى الحال فرأينا ان ننشر هذا المعجم تباعاً

في المقتطف لعرضه على الباحثين في هذا الموضوع وعسى ان يتحفنا المؤلف بمعجم آخر للنبات لانهُ بحث في هذين الموضوعين بحثاً دقيقاً يعود عليه بالشكر »

ثم جمع المقتطف المعجم باشراف أمين باشا في كتاب على حدة وأصدره سنة ١٩٣٢ وأهداه مؤلفه الى « روح أستاذي العلامة الدكتور يعقوب صروف ، أثارة من فضل ما علمني »

* * *

واخرج سنة ١٩٣٥ المعجم الفلكي يمد معجم الحيوان وهو يشمل الثوابت والكواكب السيارة وصور النجوم وبعض الاصطلاحات الفلكية وطبع في مطبعة دار الكتب المصرية

واعتمد فيما نشر على كتب الفلك المنشورة بالعربية من تأليف المرحومين الدكتور فانديك والدكتور صروف وكتاب الفلك عند العرب وزيج الصابي للدكتور كرلو نلينو العضو في مجمع اللغة الفلكي وغيرها من الكتب العربية القديمة . وفيه خارطات فلكية واسماء الصور كلها بالعربية وتحريفها اللاتيني واسماء الاصطلاحات بالعربية والانجليزية

وعني الفقيد من عهد بعيد بوضع معجم للانجليزية والعربية على مثال المعجمات التي بين أيدينا وقيل لي انهُ تقدم فيه حتى أكمل ثلثه ولا أعلم ما جرى له

***

وليس الفقيد بأول شاهد أو بالشاهد الوحيد على التبريز في صناعتين بين رجال العلم والأدب والسياسة فقد كان غلادستون سياسيًّا شهيراً ونظم كثيراً من شعر فرجيل وكان الورد سالسبري سياسيًّا كبيراً وعالماً كيميائيًّا

واشتهر عندنا الدكتور احمد عيسى بك بالطب والتأليف الذي لا علاقة له بالطب وكذلك الدكتور شبل من انصار مذهب داروين والدكتور حافظ عفيفي باشا وهو اقتصادي اشهر منهُ سياسيًّا ورجلا القانون والصحافة أحمد لطفي السيد باشا وهيكل باشا

وننا يذكر في هذا العدد ان اتصال الفقيد بالمرسلين الاميركيين في سوريا أذكى فيه موهبة البحث العلمي فقد كان على اتم اتصال بالطبيبين العالمين الدكتور فانديك المؤلف المشهور والدكتور وست الجراح الذي اشتهر بالجراحة اشتهاراً محليًّا ولكنهُ اشتهر بمؤلفاته في علم النبات اشتهاراً عالميًّا بين علماء اوربا حتى سميت بعض نباتات سوريا وفلسطين باسمه . فان قربه منهما واطلاعه على أعمالهما شحذ فيه موهبة البحث العلمي التي تجلت في مؤلفاته القليلة ولو فسح له في الأجل ومكنتهُ الفرصة لرأيت له آثاراً أخر أجل قدراً

وقد عمل النقيد مدة في مجلة المقتطف مساعداً لصاحبه العلامة الدكتور صروف في أواخر الحرب العالمية الماضية وظهر تدقيقهُ اللغوي ذلك التدقيق الذي لم ينشأ عليه في حياته العلمية الاولى وانما جلبه فيما بعد البحث والسهر وعلمهُ بانهُ ان قدّر له ان يكون مؤلفاً علميًّا فلا بد ان يصحب اقدامهُ على التأليف اتقانهُ للكتابة وتدقيقهُ فيها . اذكر يوماً انهُ نبهني الى كلمتين قال انهما خطأ شائع حتى على اقلام كاتبي المقطم فأصلحنا احداهما واما الاخرى فوجدنا ان فيها قولين كعادتنا في مسائل النحو واللغة

واهتمّ بالتوفر على الترجمة الصحيحة فكان يكثر الاسئلة فيها لعلهُ يكتسب ملكتها وهي لا تكتسب الاّ بالخبرة الطويلة أو كما قال الشاعر في العلم

اخي لا تنال العلم الاّ بستة فأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ ورغبة وصحبة استاذ وطول زمان

وقد اجتمعت له الخلال الاربع الاولى فنال بها ما لم ينل صاحب الست واتقن الترجمة اتقانه للكتابة . وكان هو وصديقه المرحوم الدكتور شميل كثيري الاعجاب بالترجمة الصحيحة . وقال الدكتور شميل على مسمع مني « لقد أتقنت الكتابة في كل فرع فصارت عندي سهلة المتناول وملكت فيها سرعة لا تصدق ولكن اذا عمدت الى ترجمة شيء علمي عويصاً كان أم سهلاً خرجت ترجمتي « كخربشة الدجاج في الوحل » كما وصفها . وخربشة الكتاب في اللغة افساده وهي كذلك كلمة عامية كثيرة الشيوع في الشام

وكان في شبابه بهي الطلعة نحيف الجسم حسن الصحة يظهر رأسهُ صغيراً وهو ليس كذلك . وضع أحد أصحابه يوماً طربوش النقيد على رأسهِ ليقيسهُ منتظراً أن لا يغطي قفتهُ فكان النقيد ينظر اليهِ نظرة استهزاء موقناً بخيبة أمله . فاذا الطربوش يغطي أذنيهِ فنظر الى ما حولهُ مكسوفاً والدكتور ينظر اليهِ نظرة الزهوّ المدل بنفسه

وكان يقسم في الحرب الماضية وحف الالمانيين على باريس في كل خطوة يخطونها حتى اذا بلغوا مسافة كمسافة عرابة بي من القلق لانهُ كان دائم الثقة بقدرة الفرنسيين وحلفائهم الانكليز على ردهم ولكنهُ لم يفقد ثقتهُ مع ذلك . فلما بدأ تقهقرهم عن نهر المارن الى نهر الاين سمعتهُ صائحاً . ألم أقل لكم هكذا » مفاخراً بتمسكهِ برأيهِ الى الآخر

ولا ريب في ان معجمهُ الانكليزي العربي كان يكون بالغاً حد الاتقان لما عرف عن تدقيقهِ وسعة اطلاعهِ وقد حال دون اخراجهِ لنا اشتغالهُ بأسباب العيش وتغلب الرض عليه . فلو اهتمت أسرتهُ بهذا المعجم ووزق من يعرف أقدار الرجال ومؤلفاتهم العلمية فيخرجهُ لنا فينتفع بهِ وينتفع